

على هامش العروبة والمذاهب المعاصرة

التطور الاجتماعي

بقلم علي بدر

العربي ، سينا الى درجة من الصعب التفكير معها بالخلاص من هذا الجمود الروحي والعقلي ، دون تعريف الواقع العربي الى هزة شديدة ، تخلصه مما علق به من علق الاقوام الفازية والقرون المظلمة ، ومحن الفكر التسليم التي لا تطاق .

اثر العزلة عن روح الحضارة العربية

وما ان اطل القرن التاسع عشر حتى استفاق العرب على هدير مدافع نابليون في معركة الاهرام ، واستبان للرب خرافة قوة السلطنة العلمية امام جحافل الغرب الفازية ، فلما رد الغرب على اعقابه ممثلا في القنصل الشاب نابليون ، وضحت للعرب طريق الخلاص . ولكن ماذا بقي لهم من معين هذا الخلاص ؟

قد يعيب الزمان امة من الامم بكل شيء ، ولكن هذه الامة تنتصر ذات يوم ، اذا بقي فيها وجدانها القومي سليما ، وتمثلت لها صورة واضحة المعالم عن كيانها الفكري .. الذي هو روح هذه الامة وسر بقائها . ولقد كانت الامة العربية ذات وجدان قومي سليم يعتمد على عاملين : العروبة ، واللغة العربية . ففي عامل العروبة ، حفاظ لها من الانقراض امام حركة التاريخ المستمرة . وفي عامل اللغة العربية يكمن سر العظمة العربية وسر بقاء الوجود العربي وسر تماسك الشخصية العربية : مكانا وزمانا واحساسا بالوجود .. وفرضا لهذا الوجود على العالم . ولقد كان تأثير العزلة عن روح الحضارة العربية « العروبة - اللغة العربية » بالغ الضرر في حاضر الامة العربية ومستقبلها . اذ ان الاستسلام الى عامل الدين جعل مهادنة الاتراك المسلمين وبالا على المسلمين والعرب اجمعين . وتسلبت الاتراك السياسي واعتماد اللغة التركية لغة رسمية - ولو كتبت بأحرف عربية - قيد من تطور اللغة العربية طيلة اربعة قرون .. وبالتالي قيد التفكير العربي نفسه والوجدان العربي نفسه عن التفاعل في الحياة العربية الواحدة والمجتمع العربي الواحد . فاصاب العرب ما يصيب الارض المروية التي انقطعت عنها الماء ، فشسقت .. وبانت مقسمة من داخلها ، مجزأة الى قطع متباعدة او متقاربة ، لا تثبت زرها الا اذا عاودها الري ، وتمهدتها الايدي الامينة النظيفة .

التلاقي مع الحضارة الغربية ومداه

وكان لا بد للحضارة الغربية بعد ان اكتملت في ديارها طيلة ثلاثة قرون ، ان تخرج من حدودها : المكانية والنفسية لتلتقي بأمم الارض قاطبة . ولقد تم هذا التلاقي عن طريقين ، اولهما ان العرب ، التقوا بالحضارة الغربية عن طريق الاتراك . وكان الاتراك يأخذون من الحضارة الغربية ما يلائم وضعهم الاجتماعي فلا يتغير ، ونضالهم السياسي فلا

هناك وهم كبير يحيط بمشكلة تطورنا الاجتماعي، ويتجلى هذا الوهم اكثر ما يتجلى في انا امة لا تتطور . غير اننا في الحقيقة نتطور ، وبسرعة ، ولكن العلة ليست في تطورنا او عدمه ، بل في كيفية هذا التطور ومداه . وقبل ان نجيب على هذا السؤال نود ان نستعرض بشيء من التفصيل والتحليل ، تطور المجتمع العربي حتى عام ١٩٥٢ ، موعد الثورة العربية في ارض الكنانة .

يتأثر (١) تطور الامم بمجريات الحوادث حولها . ويكون لمقدرتها الذاتية على السير في ركب الحضارة اثر لا يفغل . وكذلك فان لوضعها السياسي علاقة وشيجة بنوعية هذا التطور ، وبخاصة اذا كان تاريخها القومي نفسه قد شوه او استعيب عنه بامجاد جديدة . وكانت هذه الامة كامننا العربية التي غفت على حضارتنا ، ثم استفاقت على ربح حضارة جديدة ، ومفاهيم جديدة في الاجتماع والسياسة والحكم .

اين وقف تطور الامة العربية ؟

فلو تساؤلنا الان عن المدى الذي وقفت عند حدوده امتنا العربية منذ النماح مجدها حتى انطفاء جذوة تحررها وسلطانها لكانت الاجوبة على سؤالنا هذا متعددة . اذ هي - الامة العربية - من حيث وجودها السياسي قد تفككت الى اقاليم من المحيط الى الخليج ، واطحى كل اقليم يكاد يكون وحدة خاصة به من جراء عزلته عن الاقاليم الاخرى. وبعد ان كان العالم العربي يتحدد في لفظين هما : المغرب والشرق ، يدوب فيهما ملايين العرب ، وملايين الكيلومترات المربعة ، وسط ارض مترامية تدخل في ثلاث قارات اضحى عند بدء يقظته الاخيرة في اوائل القرن العشرين ، يسع نيفا وعشرين قطرا ، ويخضع لحكومات متباينة ، مختلفة، متنافذة ، تقتتل فيما بينها بدلا من اقتتالها مع الاجنبي العادي عليها . وفقدت - نتيجة للتجزئة السياسية - روح العدالة التي كان يقوم عليها مبرر الحكم ، واضحى الشعب في اكثره يقاسي المرض والجهل والفقر، والخضوع الى حكومات ظالمة ، وكان من جراء تسلط الاستعمار التركي اكثر من اربعة قرون على الامة العربية ، ان جمد تقدمها الفكري ، فجمد عطاؤها الحضاري ، وتفككت شخصية العرب القومية الى اقاليم ودويلات وتسلبت عجمة القول والفكر والعمل على الحياة العربية . وبات للعروبة جسد قائم ، قد خلا من الروح والعقل ، حتى اضحى واقع المجتمع

(١) يراجع من الاداب (١٩٥٧) : « العروبة والمذاهب المعاصرة - العدد السادس » - و « الثورة بين النظرية والواقع - العدد التاسع » و « مرض القيادة - العدد الحادي عشر » .

ويراجع من الاداب (١٩٥٨) : « مرض السيادة القومية - العدد الخامس »

وجدان حي وروح فاعلة ، وشخصية عربية متماسكة الجوانب . وان يجتهد في التنقيب عن كنوز هذا الشرق واستهواء الاجيال بحضارات قديمة واعتبارها بداية لتطور هذه الشعوب وقطع مرحلة التطور العربي الاصيل طيلة الف وخمسمائة سنة ، وحصرها في صحراء محدودة لا تثبت امجادا ولا حضارات .. حتى اذا اشرق القرن العشرون ، وقامت الحرب العالمية الاولى ، كان نصف العالم العربي قد آل الى قبضة المستعمرين بعد ان آل اليهم نصفه الاول خلال القرن التاسع عشر ، من امارات الخليج في الجنوبي العربي ، الى مصر .. الى السودان ، فالمغرب بأكمله . وبدأت السياسة الاستعمارية تنفذ خطتها ضد الامة العربية ، ضد المجتمع العربي للقضاء على اسباب نهضته الواعية فلا يجدها ذات يوم .

السيطرة على الثقافة وسياسة الانحراف

سيطر الاستعمار على الثقافة في لبنان ابتداء من منتصف القرن التاسع عشر . وعلى مصر بعيد توطيد حكمه في وادي النيل . وفي اكثر الاقطار العربية ابتداء من اخضاع هذه الاقطار للسيادة الاجنبية منذ احتلال الجزائر عام ١٨٣٠ .. حتى الحرب العالمية الاولى ، وادخال العالم العربي في التبعية الاستعمارية : السياسة الاقتصادية ، والفكرية ، وهي توأم كل تطور اجتماعي صحيح . وكان الهدف من ذلك كله : محاربة اللغة العربية ، وبالتالي محاربة امجاد الامة العربية والتي لا يمكن لها ان تعرف الا باللغة العربية لادامة التماسك العام لتطور الاحداث والزمان مسن خلال حياة الاجيال الصاعدة . بلاضافة الى محو تاريخ العرب القومي في

- البقية على الصفحة ٦٢ -

يزول ، وتسلطهم على الامم الاخرى فلا تنفض هذه الامم عنها نسير ظلمهم وعبوديتهم . اما وقد بلغت النهضة في اوربا اوجها وبدأت تنفض الشعوب على نظامها القديم ، ممثلة في فرنسا الثورة ، فقد امتد نطاق هذه الانتفاضة الثورية حتى شمل شرقنا العربي ، نتيجة لتعبير النهضة الاوروبية عن نفسها وانامانا للنهج الاستعماري في استعباد الشعوب الذي بدأ منذ القرن السادس عشر . فلما جاء الغزو الفرنسي لمصر اثار العرب - دون قصد مباشر منه - بعد ان اثارتهم حضارة الغرب عن طريق الاتراك . وكاننا ما كان غرض نابليون من غزو مصر وكاننا ما كان غرض محمد علي ، من الانتفاضة على حكم الاتراك والسعي لمحاربتهم في مصر وبلاد الشام وطردهم من هذه البلاد ، ودخول المسألة الشرقية بسبب التاريخ آنذاك ، فقد تولد هاجس جديد من هواجس الاحلام في الانتفاضة على استعمار القرون ، واعادة مجد هذه المنطقة العربية ، ولكن بأيدي ابنائها انفسهم ... لا بأيدي الولاة .. وولاة الولاة من التابعين .

على ان هذه اليقظة القومية ان راودت باطيافها خيال الامة العربية في القرن التاسع عشر ، فقد انطقت فجأة بسبب اليقظة الرجعية ان صح التعبير في تركيا والميل للحكم المستبد ، مضافا الى ذلك مهادنة تركيا للدول المستعمرة ، فرنسا ، انكلترا ، ألمانيا ، ضد روسيا القيصرية ، فكان ان تسرب من جراء هذه المهادنة القرب المستعمر الى ديارنا فعرّفها وخبر كل ما فيها : الشعب ، الحضارة ، التراث ، الآثار ، وجاءت اضطرابات - ١٨٦٠ - في لبنان مصحوبة بامتيازات خاصة لجبل لبنان ، وكان للغرب ما اراده من تسلطه على الثقافة بارسالياته ومدارسه وكلياته ، مما ادى الى فتح باب القضاء على الفكر العربي على مصراعيه ، وتجزئة خصائصه الموضوعية ومقوماته الحضارية ، لتسهل محاربة هذه الخصائص والقومات منفردة بعضها عن بعض .

الاستعمار وسياسة السيطرة

عندما تعلم العرب لغة اليونان في عصر الامون ليترجموا روائع الفكر اليوناني الى العربية ، لم يكونوا كالعرب الذين تعلموا الفرنسية او الانجليزية في ظل الحكم التركي وسيطرة الفكر الغربي على وجدانهم القومي وحسبهم الاجتماعي . واذا كان الروس اليوم يدرسون اللغة الانجليزية في ديارهم ، وكذلك قد يفعل الانجليز ، فانهم لا يشعرون بعقدة النقص التي يشعر بها كل انسان عندما لا يجد امامه من سبيل للثقافة سوى اتقان لغة هذا السيد او ذلك . انها ستطلعه على الجديد ، ستصله بالحضارة ، ستفتح عينيه وقلبه ، ولكن لغة الام ان كانت غائبة عن قلبه وعينه ، وعي الحياة بلغة ليست لفته ، وانساق هو والملايين معه ، في تيار جديد ، قد يقلب كيانه رأسا على عقب ، فيما اذا نسي تاريخه القومي بالذات ، وتعلق بامجاد جديدة ، ما دام اعمال اللغة الام ، سيؤدي الى اهمال التاريخ القومي ، ويؤدي الى تسلط عشرات بل مئات من الجهلة لتاريخهم القومي ، على هذا التاريخ بالذات ليدونه باقتصاب وتشويه وتحريف ، ولكنهم اذا تحدثوا عن تاريخ الغرب .. عن تاريخ لغات الامم التي حذفوها ، لم يتركوا ريشيليو ولا مازاران ، ولا لويس او نابليون ، ولا حرب الوردتين او كرومويل ، وكسل امجاد فتسح الهند واستعمار افريقيا ، وتسلط الحضارة الغربية على رقاب الملايين باسم صفاء العنصر ورفي الفكر ونقاء السلالة .

ولقد كان الاستعمار ذكيا فوجد ان خير وسيلة للقضاء على العروبة : لغة وتاريخا ، ان ينشر ثقافته ويحارب الثقافة العربية من حيث هي

الى كل اديب

الى كل مدرس

الى كل طالب

الى كل صاحب مكتبة

الذخاني

الكنز الذي كان ولا يزال مذقرون
عماد الدراسات الادبية واوسع مرجع ادبي
وفني خطته يراعة ابي الفرج اريصرفاني

المعجزة التي حققها دار مكتبة الحياة
واحرمتها الى هيز الرصد كالمات
ومجلة تجميل انيقا من بما شحي
طاقته الجامع

اطلبوا الجرعة الكاملة :
من دار مكتبة الحياة في بيروت - لبنان
وجميع المكتبات الكبرى في العالم العربي

المراسلة - دار مكتبة الحياة للطباعة والنشر - بيروت - شارع سوريا - ص ب ١٢٩٠

التطور الاجتماعي

- تنمة المنشور على الصفحة ٨ -

التركي الى نظام جديد .. بل اجد مما هو عليه الحال في اوربا نفسها : انتخاب كل من هو قادر على امتصاص دماء الشعب وتحكيمة في رقاب الشعب ، وجعله وذرايه من بعده وصيا على الشعب : انها الوراثة الديمقراطية . وراثة العصبية . ووراثة المال والعقار . وهذه هي مقومات الحكم السعيد في شرقنا التمس . وقد بات من جراء هذا الفساد الاجتماعي كله ان اوضحت الامة العربية من المحيط الى الخليج ، موزعة بين تحكم الدول الاستعمارية فيها ، وتحكم اعوان الاستعمار وعبيده واستنزافهم خيراتنا وجهدها ، وشيوع وسائل الحضارة الحديثة في الصناعة والزراعة والتجارة ، وبقاء كثافة في الجهل والفقر والمرض ، وباتت الذات العربية من كثرة ما دخلها من بدع الحضارة مع اصيلاها ، اشبه بعلبة المطبخ التي تتخمر فيها نفايات الاطعمة فالتقى على صعيد الحياة العربية : عادات قبلية ، ومجتمع رعوي زراعي ، وآلة تثير مشاكل القرن التاسع ، وديمقراطية من نتاج القرن العشرين ، وفقر ومرض وجهل، وتحكم الاقلية في رقاب الاكثرية ، واستعمار يحف به اعوانه من الخونة والدخلاء والمخرفين ، ومعركة تجهيل واسعة النطاق ، ولغة عربية تقطع ما بينها وبين الماضي كل صلات الاستمساء من النبع الصيل ، وتزييف للتاريخ القومي الى جانب احياء تراث حضارات متفرضة لاروح فيها ولا قوام - والشعب العربي يستعمل وقيدا في كل حرب ، وفي كل ثورة ضد الاستعمار وضد اعوانه ، وفي وسط هذا البحران الظامي من عدوان المذاهب المعاصرة على الفكر القومي في ابان عزلته عن تاريخه الحي وتجزؤ شخصيته القومية كان لا بد للعرب ان يجدوا الطريق ذات يوم بعد ان تألفت عوامل فساد المجتمع ، واذنت بانهيائه كله ما عدا الاصيل فيه .

عوامل فساد المجتمع القديم

كان العالم العربي رغم تباعد اقطاره ، واختلاف مناخ التطور فيها ، يشكو امراضا واحدة ويحتاج الى علاجات واحدة . فقد كان التسلسل الاجنبي عليه ثقلا ويحتاج الى ازالته ليستطيع التصرف والانطلاق . والاستعمار لم يبق وحده ، لقد اضحى له الاعوان والانصار يحركهم كما يريد ، وهم ليسوا اعوانا سياسيين فحسب ، فلقد وجد فئات تنصره في الراي والانجاه ، بحيث يمكن اعتبارها منفصلة عن تاريخ الامة وعسن مجموعها . ولكي يكون المجتمع العربي الحديث سيد نفسه ، وجب ان يزول الاستعمار ويقضي على عوامل الانفصال في داخل المجتمع العربي نفسه ، لتتحرر سيادته من الحماية والوصاية الاستعمارية . وكان الى جانب مرض السيادة - وهو الاستعمار - مرض القيادة الفكرية والسياسية . فالقيادة السياسية كانت منعزلة عن الشعب غير مؤمنة به همها الوحيد التحالف مع الاجنبي لضرب الشعب ، وقمع حركاته الحرة المتوالية . وكانت القيادة الفكرية منعزلة عن الشعب ، متخفية عن مركزها القيادي والتوجيهي . لانها بثقافتها الانمالية عن روح الشعب وعن تاريخه الصحيح وخطر سه برنهضته القومية لتحقيق وحدته وحرته ونظامه الاجتماعي العامل قد وجدت نفسها ممثلة بالمعلومات والمعادلات والاساليب الكلامية ، وهي كلها لا تعادل بعض الايمان بحقيقة الشعب وحقيقة تاريخه المستمر عبر الزمان ، الذي نجده في صدر اي انسان عادي من عامة الشعب . والقيادة الفكرية معزولة عن الشعب ، يوحى عاملين . فاما الاول فهو انزال بعضها عن الشعب وعن تاريخه وثقافتها بثقافة ليس لها طابع خاص . ثقافة غير قومية . ثقافة نظرية تصلح لكل وطن ، ولكل زمان . واما العامل الثاني فان بعض المثقفين

لبنان ، والفرعونية في مصر ، والبربرية في المغرب ، والاشورية والكلدانية والبابلية ما بين سوريا والعراق ، وتصوير العرب بصورة اهتزت في يد المطور لحياة الشعوب وياني حضارات الامم . وكان القصد من ذلك كله ، فصم عرى الوحدة ونمزيق العالم العربي الى شعوب مختلفة الاصول والاجناس ، تتكلم اللهجة العربية بالعامية وبقليل من الفصحى الى جانب فخارها بحضارتها السالفة ، واتقانها اللغات العادية عليها حتى يتنافى زمان نرى فيه ان طلابا تطردهم جامعاتهم اذا استنكروا عدوان دول هذه الجامعات الاجنبية على اخوانهم في الاقطار العربية الاخرى ، او يطردون اذا ارادوا تأكيد اللغة العربية في وطنهم وترك اللغات الاجنبية للتثقيف العام الذي لا يتعارض مع كرامة الامة ولا كرامة اللغة التي لم تعجز بعد ، عن نقل خواطر روسو في السيادة ، ولا مشاعر لامارتين في الغرام !!

واقع العرب الاجتماعي

كان واقع العرب الاجتماعي مفككا . فالفقر المدفع الى جانب الفنى الباذخ وتسلط فئات معدودة على رزق الالف من ابناء الشعب وانتشار الجهل والمرض ، وقلة الاخذ بالثقافة العصرية ليحيا المجتمع العسري يومه ، وبالثقافة القومية ليصل حلقة الماضي بالحاضر والمستقبل . والى جانب خضوع المجتمع للاستعمار ، وتامر اكثر الفئات المتصدية لقيادته عليه ، كان هناك خضوع لاكثر ما جاء به الاستعمار من قيم ومثل ، الامر الذي دفع الوجود العربي الى التدهور المادي والمعنوي ، ولولا تماسك فئات الشعب وتساندها ضد الاستعمار وضد اعوانه ، ضد المحو القومي والمحو الفكري ، لما كان المجتمع العربي اليوم غير قطع لا لون فيها سوى اللون السادة المستعمرين ، ولا لغة فيها الا لغاتهم ، ولكان ماضي العروبة كله قد زال وحل محله حاضر قدر من صنع اللصوص ومخترعي الحضارات .

واذا نظرنا لخصائص تلك الفترة التي مر بها المجتمع العربي ، وجدنا متناقضات جملة . فالمجتمع وقد اخذ بالحضارة الغربية ، اخذ يتطور بلا تنظيم ولا تعقيد . ففي القاعدة نجد الالة ومشاكلها الى جانب النظم القديمة في حراثة الارض وعلاقة المالك بالعامل الزراعي . وبتنا ونحن في القرن العشرين نمر بمشاكل مرت بها اوربا منذ مئة عام عند بدء نهضتها الاقتصادية والاجتماعية : هجرة الريف الى المدن . مشاكل الطبقة العاملة . مأساة الضمير لدى الطبقة المتوسطة . عقدة الثقافة النظرية وانمزالها عن حياة الشعب . تكون الطبقة البورجوازية . بسد نمو راس المال على حساب ظلم القوى العاملة في خدمة الجهد القومي . وتتكب الدولة عن واجبها في التدخل للحد من هذا الاستغلال بالاساليب اشتراكية كما حدث في اكثر بلدان اوربا ، بانخاذها الضرائب التصاعدية على الارباح ، وقرار الضمان الاجتماعي ، والتأمين ضد البطالة والمعجز والشيوخ وطوارئ العمل . وكانت اكبر الخرافات هي خرافة الديمقراطية ، في مجتمع لم يتحقق فيه اي اثر لكسبيات التطور والمعاونة السياسية كما حدث في اوربا ، بل انتقل المجتمع من قرون الاستعمار

فد عجزوا عن رؤية ملامح الاصل في شخصية الامة العربية وفسي مدلول هذه الشخصية الفكري والروحي والاجتماعي ومطابقتها لتقدم العصر ، فأرادوا ان يديبوا هذا الكيان الذي لم يتم بعد ، ولم يتوحد، ولم يتخلص من الاستعمار ، أرادوا ان يديبوه في بؤبؤه ، يجزئ ومراس ، متناسين عوامل التطور الصحيحة وهي ان المجتمع العربي لا يمكن ان يخط سيره الاجتماعي قبل التحرر من الاستعمار ، وقبل الوحدة الشاملة، الا اذا كانوا لا يؤمنون كما يؤمن العرب جميعا ، ان المجتمع العربي الواحد هو مجتمع العرب من المحيط الى الخليج ، وليس مجتمع هذه الاقاليم الصغيرة المتناثرة . وان طبيعة التطور الاجتماعي تفرض نوعية المعركة التي ينبغي على العرب ان يخوضوها وهي معركة سياسية لتحرر من الاستعمار واعوان الاستعمار . ومعركة قومية لتحقيق الوحدة . ثم تبدأ معركة تطوّر المجتمع العربي نحو العدالة الاجتماعية الشاملة التي لا تمس حريته السياسية ولا وحدته القومية ، وتاريخه الاصيل . والى جانبه مرض السيادة القومية ، ومرض القيادة بنوعها السياسية والفكرية كان المجتمع العربي يعاني مرض انظمة الحكم بل مرض الديمقراطية . ان الديمقراطية مفهوم للحكم يقوم على نكران اي اثر للثأفية والعصبية العائلية او القبلية . وكذلك كل تبعية اقتصادية واجتماعية . ويوطد سلطان الدولة على اسس سليمة من أنظمة النقابات والاحزاب والوعي الاجتماعي وانتشار الثقافة والكفاية الاقتصادية في الافراد ، ويعطي للحرية مفهوما واقعا وعمليا ونظريا ، ينسجم مع اداء الواجب الوطني والقيام بعبء الجهد الفردي ، والمساهمة في الحياة العامة ضمن حدود المصلحة القومية والعمل الوطني العام . دون ان يكون وضع المجتمع سيئا من جميع الوجوه ، قليل الثقافة قليل التنظيم ، قليل الكفاية الضرورية ، فيه رواسب عديدة لمجتمعات قديمة ، مرت عليه قوافل الاستعمار فابادت الكثير من مقوماته القومية ، واضعفت ارادته وطموحه ووجدانه ، وانبتت الكثير من الفئات والعناصر الانهزامية والمستثمرة ، والتي تعتبر قوام مردود الحياة الاجتماعية المريضة ، حتى اذا جاءت الديمقراطية ، حملت هذا المردود السيء للحياة الاجتماعية الى مقاعد البرلمان والوزارة ، واضحى همها الوحيد توطيد اسباب البقاء لها وللسيئات ردد الحياة الاجتماعية بمزيد من السوء ، لدوام العز ، واطالة امد البهجة والسلطان . واضحى لفوا ، كل ينجح بالعمل للوحدة العربية والحريّة العربية ، وللمجتمع العربي الواحد ، في ظل مثل هذه الكيانات الهزيلة ، والحكومات الذليلة ، والفساد الذي عم القيادة بشقيها ، وشمل السيادة القومية من جراء التوجيه الاستعماري واساليه في تفويض دعائم الوحدة العربية لدوام التجزئة ، ودوام التبعية الاستعمارية الى الابد .

اهداف الثورة الصحيحة

ان الثورة الصحيحة ما كانت تمثل ردة فعل الوجدان القومي للامة العربية . فما هي ردة فعل الوجدان القومي للامة العربية ؟ ان ردة الفعل تتمثل في عناصر عديدة . منها ان اللغة العربية وفقت اربعة قرون عن التطور ، فيجب ان تعاود تطورها ، ان تعاود حياتها الجديدة ، فلا تزاحمها في الترجمة عن خواطر الانسان العربي في ارضه العربية لفة ثانية ... كائنة ما كانت هذه اللغة . والوجدان القومي للامة العربية ليس ضد الثقافة العامة ولا ضد النزود بمعين العقل البشري العام . ولكنه ضد تفضيل اية لفة اخرى غير اللغة العربية من المحيط الى الخليج . فكما ان اللغة الفرنسية او

الانجليزية او الروسية او الصينية - سيدة في ارضها - وكذلك شان العربية . وهذا ما يجب ان يكون . وكل عدوان على اللغة العربية في اية بقعة عربية عدوان على وجدان الامة العربية . عدوان على حياتها وتكران لوجودها . ان اللغة العربية روح الامة العربية المترددة فسي كيانها كله .

ومنها ان الامة العربية واقعة تحت عدوان الامم المستعمرة . ان سيادتها معطلة . هناك من يتكلم باسمها . هناك من يريد ان يداوم استغلال خيراتها وتكونها . ويحتفظ لنفسه بحق العدوان عليها وليس الدفاع عنها . ان الاستعمار اول الاعداء واخرهم . ولا يمكن للامة العربية ان تعود سيرتها الاولى ، لتأخذ من العالم وتطيه ، ما دام الاستعمار معطلا سيادتها . ان التحرر من الاستعمار ضرورة قومية . انه الخطوة الاولى نحو الحرية في الخارج والداخل .

رحمها ، ان القيادة السياسية والفكرية في عزلة عن روح الشعب . والقيادة في العالم العربي نتيجة لمرود اقتصادي مضطرب ، او طبقي منحرف ، بل القيادة الفكرية التي انخمتها الثقافة المجردة من طابع الزمان والمكان وسير التاريخ القومي . وكل انحراف في اتجاهات القيادة الفكرية المنهية او الانهزامية منها ، لتعطيل جوهر الابداع في العقل العربي وما يمكن ان يقدمه لحاضر الامة ، ويوطده من اسس لنهضتها وتطورها . ولا قيادة حققة ، سياسية فكرية ، ما لم يقص على كل مقومات مثل هذه القيادات المريضة ، بتعديل مضمون الثقافة وجعله قوميا بحتا ، وتوحيده ، وضبط المشارب التي تمد الاجيال الصاعدة بمعين الفكر الحديث واتاحة الفرص لنمو المجتمع في جو من الحرية والقومية والعدالة الاجتماعية والتربية العربية السليمة .

ومنها ، ان تعميق مضمون الحضارات القديمة في ذاكرة الشعب العربي ، من جراء السماح للدعائيات السمومة والتوجيه الخاطيء ، بيت افكارها المريضة ، قد يؤدي الى ربط مضمون هذه الحضارات الفكرية ومدلوله الحضاري ، بواقع المجتمع المادي الذي تعيشه هذه الاقطار المتباعدة ، بفضل تحالف الاستعمار مع الطبقة الرجعية الحاكمة . وبدعة الحضارة القديمة هذه ، لا يقصد منها غير قطع حقيقة الامة عن التاريخ الصحيح الخاص بها . ووصله بأفكار غفا عليها الدهر ولم يستيقظ بعد . وه يرغم انها لا تمثل لفة متداولة او تاريخا قائما ، او عادات متداولة او قيما اجتماعية مرعية ، او حتى شعبا حيا يتبناها ويدافع عنها ، فان سياسة الاغراق الرامية الى فصم عرى الترابط التاريخي بين ماضينا وحاضرنا ، تريد ان تمضي في خطتها المزدوجة : محاربة اللغة العربية واحياء ماضي الحضارات الغربية معا، مما يؤدي بالتبعية الى تنكر من يشب للفتنة الام وتاريخه الصحيح، وايمانه بما يقدم له من زاد الفكر والروح . ولذلك فان رفع راية النضال ضد عدوى التجزئة ، ونصرة اللغة العربية بصفتها الترجمان الوحيد عن الوجدان القومي والتاريخ القومي ، والسير في ركاب شعار : (وحدة اللغة ووحدة التاريخ) كليل بغير انصار التجزئة ، والانتصار على اللغات العادية ، والحضارات الشعبية القائمة في بعض المتاحف ، وتوكيد لوجدان الامة وما ينعكس عن هذا الوجدان من احساس ومشاعر تربط الارض بالشعب عبر الماضي والحاضر والمستقبل في عروة وثقى لا انفصام لها .

ومنها ان العالم العربي يشكل وحدة ، وليس كيانات مبشرة . ودليل هذه الوحدة : وحدة اللغة ، ووحدة التاريخ ، ووحدة مصائب الماضي وانتصاراته ، ووحدة الطريق عبر المستقبل . وفي حركة ثورية لا تضع في اعتبارها ازالة الاستعمار واعوانه ، والاطاحة بالقيادة السياسية

والكيانات المبعثرة ، ويدخل معركة المصير الواحد والقيادة الواحدة ، والمجتمع الواحد . فكانت ثورة مصر العربية في تموز عام ١٩٥٢ . . ثورة اوضحت بعد ست سنوات مجتدة في خدمة القومية العربية ومضمونها في السياسة والحكم ، في بعث روح التطور الاجتماعي الجديد في حياة المجتمع العربي . وكان هذا التلاقي بين مصر وسوريا ، دليلا على ان العروبة اصالة ، والقومية العربية رسالة ، والوحدة مخاض الحرية والبناء في عالم جديد يشرق على العرب من المحيط الى الخليج . وكان من هذا التلاقي بين الاقليمين ، جمهورية عربية متحدة ، هي اشبه باللولؤة الواحدة في عنق العروبة الخالي من اللاليء منذ خمسة قرون او اكثر . جمهورية عربية ليست رجعية لانها تؤمن بالتطور ، وتؤمن ببعث القوى الدفينة في المجتمع وتفسح لها سبيل التطور نحو الاشتراكية والديمقراطية والتعاونية ، وترسم خط سير المجتمع في طريقه القومي الصحيح فلا ينحرف نحو اليمين ، حيث الاحلاف والرجعية والانخراط في حماة الاستعمار . ولا ينحرف ايضا نحو اليسار ، نحو تعطيل وجدانه القومي وتأخيره عن خوض معركة الوحدة الشاملة ، وتعطيل شخصيته العربية المبدعة وتشويه وجدانه القومي الاصيل . شعارها في ذلك حياض مادي عن الغرب ، ومذهبي عن الشرق ، دون ان تغلق نافذة الاخذ والعطاء مع العالم كله ، لمد الحياة العربية والفكر العربي بما يصدر عن حس سليم وطواعية حرة مبدعة .

علي بسدر

من الاصدقاء

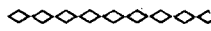
حلب

مكتبة انطوان

فرع شارع الامير بشير

ص.ب. ٦٥٦

تلفون ٢٧٦٨٢



سليمان العيسى

وثائق تنشر للمرة الاولى (مجلد ٣)

تأملات لبنانية

كنيسة مدينة الله انطاكية

العظيمى (الجزء الاول)

علي وعصره (ج ٤)

مصارع العشاق

القومية ليست مرحلة

القبيلة الذرية ومصير الانسان

على بساط الريح

هذا التاج

كارل ماركس

رسائل ابن الاثير

النظام الاقتصادي في الاسلام

قصائد عربية

الاصول التاريخية

بشارة صارجي

الدكتور اسد رستم

جورج جرداق

الشيخ ابو عمر جعفر السراج

الدكتور كمال الحاج

كارل ياسبرز

فوزي معلوف

واصف بارودي

هنري لوفافر

انيس المقدسي

تقي الدين النبهاني

المنظمة عن طريق الدعاية لبعث حضارات زائفة على مثال : الفينيقية في الزيفه وتقويم انحراف القيادة الفكرية لتلتصق بالشعب وتاريخه ومعاركه النضالية ، وتصحيح مفهوم الديمقراطية يتمك من الشعب من اسباب الرقي والعدالة الاجتماعية والحرية البناء ، والسعي كل السعي نحو الوحدة الشاملة ، وخوض المعركة السياسية للخلاص من الاستعمار اولا ، والمعركة القومية لتحقيق الوحدة ثانيا ، انما هي حركة انحرافية لا تمثل وجدان الامة العربية ولا تؤمن بماضي الامة النبيل ولا مستقبلها العظيم .

ومنها ان الروح العربية روح بناء تؤمن بالحرية والسلام . فهي ضد الحروب وضد التحالفات ، ايا كان مصدرها او نوعها . ولكنها لا تساوم على حريتها وكيانها وشخصيتها المستقلة اذا كانت الحرب طريقها لتوكيد الحرية والفرار السلام .

مضمون القومية العربية

ان هذه العناصر الاساسية الهادفة الى احياء الوجدان القومي باعلاء شأن اللغة العربية والتاريخ القومي ، والمحافظة على الشخصية العربية فلا تتجزأ من جراء عدوان الحضارات والسياسات الانحرافية والمناهج العادية ، عليها ، وتحقيق سيادة الامة العربية بطرد الاستعمار ورسم الطريق للقيادة السياسية المعبرة عن روح الامة وحاجاتها واهدافها المثلى واناحة الفرص لان تكون القيادة الفكرية موجهة للمجتمع حريصة على اشادة ببنائنا الفكري من واقع ماضينا وحاضرنا ومستقبلنا كسلسلة لا انفصام لها ، وتقليل الفروق بين الطبقات وفق روح العدالة وتكافؤ الفرص واشاعة المناهج الاشتراكية ، لخلق مجتمع تقدمي اشتراكي النزعة والاسلوب ، ومحاربة عدوان التجزئة ومحو الكيانات الهزيلة القائمة ، وخط تطور المجتمع العربي نحو الوحدة الشاملة والقيادة الواحدة والتجربة الاجتماعية الكبرى ، ذلك كله ما نعب عنه عندما نقول : (القومية العربية) عقيدة كل عربي مخلص من المحيط الى الخليج . وكل محاولة لتعطيل هذا النهج سواء بالانحراف عن معركة الوحدة الى التجزئة ، او صبغ مضمون القومية العربية بصبغة تخرجها عن هذا المضمون ولونه الصريح ، لما تاباه طبيعة المعركة النضالية التي ينبغي على العرب ان يكرسوا كافة جهودهم لتحريرهم من الاستعمار ، وخوض معركة الوحدة الشاملة ، ليجد المجتمع العربي الواحد من المحيط الى الخليج سبيله في التعبير عن الذات العربية واتخاذها الوضع الاجتماعي الذي يفرضه واقعه الداخلي وحده .

ثورة مصر العربية عام ١٩٥٢

كان العرب قبل ثورة مصر العربية عام ١٩٥٢ يؤمنون بافكار عديدة ، كلها تتفق ومضمون القومية العربية . ولكن الذي ينقصهم كان بدء تنفيذ هذه الافكار في دنيا الحياة والناس . كانوا بحاجة الى من يمزق ستار الديمقراطية الكاذب ويكشف معدن الحياة الحزبية الرخيصة . وكانوا بحاجة الى من يشنها حربا صريحة على الاستعمار واعوانه في داخل البلاد وخارجها ، ليؤكد السيادة القومية . وكانوا بحاجة الى من يوقف القيادة السياسية المريضة عند حدها ويوجه القيادة الفكرية في الطريق المؤدية الى بعث تاريخنا القومي العربي الاصيل وثقيف الجيل بثقافة عربية خالصة ، ويمنع انحراف الوجدان القومي نحو اليمين واليسار . وكانوا بحاجة الى من يخوض معركة الوحدة ، ويعلنها حربا صريحة على التجزئة